مصطلح الكناية في المعجم النبوي الشريف وأثره في تهذيب الألفاظ

The metonymic image in the words of the Noble Prophet and its effect on verbal refinement

مسعود مرزوقي

جامعة الجزائر1 (الجزائر)، m.merzougui@univ-alger.dz

تاريخ الارسال 2021/04/13	تاريخ القبول 2021/10/21	تاريخ النشر 2021/12/15

الملخص

تعد دراسة البلاغة النبوية من الأمور المهمة، ودراسة جماليات الأسلوب في الكناية النبوية غاية في حدّ ذاتها،لما فيه من بيان مقاصد نبيلة وشريفة، خاصة الوظيفة الأخلاقية التهذيبية من خلال الترفع عن الألفاظ البذيئة الخسيسة التي يستقبح التصريح بها،مثل تغطية المعاني الهابطة بألفاظ تدل عليها غير موضوعة لها تنزيها عن إيرادها على جهتها.

والكناية مظهر بلاغي راق في الحديث النبوي الشريف؛ لأنّها تقدّم الحقيقة مشفوعة بالأدلّة، والمعقول متلبسا ثوب المحسوس. فهي تعبير عن الحياة الاجتماعية بأحاديث معبّرة عن ثقافة المجتمع وذوقه.

والكنايات التي وقفنا عندها في البيان النبوي الشريف تترفع عما وضع لأجلها، إذا لحاجة إلى ستر أقوالها،كالحاجة إلى ستر أفعالها.

الكلمات المفتاحية: الكناية؛ البلاغة النبوية؛ بلاغة الحديث؛ الكناية النبوية؛ تهذيب الألفاظ

Abstract

Studying prophetic rhetoric is important, and studying a esthetic elements of style in the prophetic metonymy (being one of the rhetorical devices) is a target per se, because it is a way to state noble and good aims, mainly when metonymy is utilized to achieve ethical and moral goals through avoiding profanity or obscene words that aren't supposed to be said explicitly. For instance, we can cover offensive meanings by using words that do not basically correspond to those meanings so as to refrain from saying them literally (as they are).

Metonymy is a high rhetorical device in the holy prophetic sayings, because it gives truth coupled with arguments, and shows the rational in the garment of the tangible. It is the expression of social life by using sublime sayings that represent the culture of the society and its taste.

Keywords :metonymy ;prophetic rhetoric ; prophetic metonymy**.**

المؤلف المرسل: د. مسعود مرزوقي، **الإيميل**: **m.merzougui@univ-alger.dz**

المنارة للاستشارات

1.مقدمة:

الكناية التهذيبية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة باب واسع جدا، وقد حاول البعض جمع هذه الكنايات الدّالة على التهذيب والستر، وإخفاء اللفظ القبيح الفاحش فزادت على الآلف[1]، ونحن في هذه الدراسة نتناول جزئية معينة ومحدودة، وهي العلاقة الخاصة بين الرجل والمرأة، ولما كان الستر صفة محمودة ممدوحة في القرآن الكريم حيث قال تعالى: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ»[2]، رأينا الوقوف عند هذه الجزئية التي يسمها البعض "المحظور اللغوي"، وذلك من خلال عينة من البيان النبوي الشريف، ولعل أهمية هذا البحث تكمن في دور الصورة الكنائية في تهذيب النفوس والترفع عن الألفاظ المستفحشة، لأن «التهذيب هو المظهر الاجتماعي لوظيفة الكناية، فثمة دوافع اجتماعية تعبر عن الذوق العام والخلق الكريم، كامنة خلف الكثير من الكنايات، وهذه الوظيفة الخلقية ليست غريبة عن الكناية النبوية التي هي ظل لفكرة قائمة خلف جدار اللفظ»[3]، لذلك يمكن لنا القول: ما مدى قدرة الكناية النبوية على تهذيب الألفاظ؟ وهل طبيعة الكناية النبوية تواكب الدعوة إلى الفكر الأخلاقي الإسلامي، فتعبر عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، وعن المعنى الفاحش، بالمهذب، وما مدى امتزاج الجانب الجمالي، والأخلاقي فيها؟ ولأجل تلك الغاية، كان علينا الوقوف عند مفهوم الكناية، وأقسامها، ثم تحليل الصورة الكنائية في البيان النبوي الشريف، بعد الوقوف على نماذج من الكناية التهذيبية في القرآن الكريم.

2.المبحث الأول: ماهية الكناية وأهم أقسامها:

1.2 المطلب الأول : مفهوم الكناية لغة واصطلاحا:

1.1.2. أولا : الكناية في أصل اللغة:

الكناية: فن من فنون البيان، وركن من أركانه الأساسية، وهي تستمد أهميتها، وقيمتها من الوظائف والغايات التي تهدف إليها وهذا ما جعل القدماء يلتفتون إليها، فقد لاحظوا أن الكاف والنون والحرف المعتل تدل على عدول عن لفظ إلى آخر، وهو ما تشهد به مادة "كنى"، التي مصدر فعلها

[1] انظر:ابن حجر العسقلاني،فتح الباري بشرح صحيح البخاري:تحقيق، ابن الباز،دار المعرفة،لبنان،بيروت،د،ت،ج9،ص:103.

[2] الآية:30 سورة النور،

[3] أحمد ياسوف،الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف،دار المكتبي، دمشق،سوريا،ط 2 ،سنة:2006م ،ص:264.

المنارة للاستشارات

ثلاثي، جاءت لامه ياءً وواواً فقيل: كنيكنى، وكنيكنو، و كنى فلان عن الكلمة المستفحشة، قال الخليل: «كنى فلان يكني عن كذا، وعن اسم إذا تكلّم بغيره مما يستدلُّ عليه نحو الجماع والغائط، والرفث، ونحوه »[4]، وقال ابن فارس: «الكاف والنون والحرف المعتل يدلّ على تورية عن اسم بغيره، يقال كَنَّيْتُ عن كذا، إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه »[5].

وأما ابن منظور فقد تناول معنى الكناية، وذكر بعض الشواهد التي تدل على أن فعلها، واوي، أو يائي عندما قال :«كني الكُنْيَةُ على ثلاثة أوجه: أحدها أن يُكْنَى عن الشيء الذي يُستفحش ذكره، والثاني: أن يُكْني الرجل باسم توقيرًا أو تعظيماً، والثالث: أن تقوم الكُنْيةُ مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه »[6] والذي يهمنا في هذا المقام الوجه الأول: أن يُكْنَى عن الشيء المستفحش، والكناية عنده: « هو أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكَنَى عن الأمر بغيره، يَكني كِناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدلّ عليه نحو: الرفث والغائط ونحوه. وفي الحديث: من تعزَّى بعزاء الجاهلية فَأَعِضُّوه بأَيْ رأبيه ولا تكنوا»[7].

ووضح القول أن الكناية، تعني الستر، والإضمار والإخفاء، وهي أبعد ما تكون من السفور والوضوح.

2.1.2. الكناية في اصطلاح البلاغيين:

لا يخفى على الباحثين في الكناية، ما كان عليه البلاغيون والمفسرون، إلى جانب ما بذله اللغويون والأدباء، من جهد عظيم بغية الوقوف على الحدود اللغوية والاصطلاحية لهذا الفن حتى استقرت بدلالتها عند المتأخرين منهم.

ومن هؤلاء الأوائل الذين اتضح عندهم مفهوم الكناية، الجاحظ الذي أفرد بابا في كتابه الحيوان (بابٌ من الفطن وفهم والرطانات والكنايات والفهْم والإفهام)[8]، وهو يشير إلى بعض وظائف الكناية وفوائدها، والكناية عنده وضع كلمة بدل كلمة لإظهار المعنى بألين اللفظِ تنزها وتفصيلا أي: هي عدول عمَّا لا يليق إلى ما يليق، وعمَّا يليق إلى ما هو أليق، وقد ذكر لها أمثلة متعددة في كتابه البيان

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة:2003 م،ج4، ص: 54.

[5] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، د.ط، عام: 1972، ج5، ص:139.

[6] ابن منظور، لسان العرب، تنسيق وتعليق: عليشيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، سنة:1988م، ج12، ص:174.

[7] المصدر نفسه، ج7، ص: 316.

[8] الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط3، سنة:1969م، ج3، ص:122

المنارة للاستشارات

والتبيين،فقال: «قال شُرَيْحُ: الحدَّة كناية عن الجهل)، وقال أبو عبيدة: (العارضة كناية عن البَذَاء) قال:وإذا قالوا فلانٌ مقتصد، فتلك كناية عن البخل، وإذا قالوا للعامل مستَقْصٍ فتلك (كناية عن الجور)»[9]، والكناية عند الجاحظ تكون ضرورة عندما يكون التصريح يتعذر، فهي أسلوب تقتضيه الضرورة، إذا كان التصريح لا يحسن، أو كان متعذرا... وبذلك فإن الجاحظ يسلك في دراسته أسلوب الكناية مسالك مختلفة من تبيين قيمتها التعبيرية، ومواضع صلاحيتها، أوعدم صلاحيتها في الاستعمال اللغوي.

أما عبد القاهر الجرجاني الذي أفاد من الدراسات التي سبقته فقد عرف الكناية بقوله: « المراد بالكناية هاهنا أن يريدَ المتكلمُ إثبات معنىً من المعاني،فلا يذكُرُه باللّفظ الموضوعِ له في اللُّغة، ولكن يجيءُ إلى معنىً هو تاليهِ وردفُه في الوجود فيومئُ به إليه، ويجعلهُ دليلا عليه »[10]، ثم ذكر أمثلة على ذلك، فقال: «مثال ذلك قولهم: (هو طويل النِّجاد) يريدون طويل القامة، (وكثير رماد القِدرِ) يعنون كثير القرى، وفي المرأة (نؤوم الضُّحى) والمراد أنها مُترفةٌ مخدومَة، لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كلِّه كما ترى معنًى،ثم لم يذكروه بلفظهِ الخاصِّ به، ولكنهم توصَّلوا إليه بذكر معنًى آخر من شأنهِ أن يردفَه في الوجود، وأن يكون إذا كان»[11].

والواضح من حديث عبد القاهر عن أنه ساوى بين الكناية، والتعريض، والرمز، والإشارة، إلى جانب أنه تحدث أيضا عن نوع آخر من الكناية، ونعني بذلك الكناية عن نسبة، وهو أول من تحدث عنها. قال أحمد مطلوب: «وهذا النوع من ابتداع عبد القاهر، لأن السابقين لم يتحدثوا عنه في فصل الكناية... يرجع إليه كشف نوع من الكناية عن النسبة ولم يكن السابقون يعرفون للكناية ضروبا »[12].
وقد أشاد أحمد مطلوب بتعريف عبد القاهر الجرجاني للكناية، فقال: «وليس في كتب البلاغة المتأخرة أكثر مما ذكره عبد القاهر عن الكناية، وكل ما فعله السكاكي والقزويني وشراح التلخيص أنهم رتبوا ما في دلائل الإعجاز، وقسموها إلى: الكناية عن صفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة وهي تقسيماته»[13].

---

[9] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، سنة:1998م، ج1،ص:263.
[10] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، سنة:1999م، ص: 66.
[11] المصدر نفسه، ص: 66.
[12] أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات الكويت، ط1،بيروت،سنة:1973،ص:158.
[13] المرجع نفسه، ص:160.

المنارة للاستشارات
ww

وأما الزمخشري فقد حظيت الكناية عنده بعناية كبيرة في تفسيره البلاغي للقرآن الكريم، حيث أشاد بكنايات القرآن الكريم في مواضيع متعددة، فقال: «ولا نرى أحسن ولا ألطف ولا أحرّ المفاصل من كنايات القرآن وآدابه »[14]، ويكون الزمخشري هو أول من أضاف النوع الثالث من أقسام الكناية، ونعني بذلك الكناية عن موصوف ولم يذكره عبد القاهر الجرجاني، وبذلك يكون الزمخشري قد وقف عند الأنواع الثلاثة للكناية، ووجد أسلوب الكناية في تفسيره المناخ الخصب، وذلك بغية إظهار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

وأما السكاكي فقد عرف الكناية فقال: « الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء، إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك »[15]، ثم ذكر أمثلة على ذلك فقال: «كما تقول: (فلان طويل النجاد)لينتقل منهإلى ما هو ملزومه وهو طول القامة، وكما تقول فلانة (نؤوم الضحى) لينتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو كونها مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في اصلاح المهام »[16]، ولعله أول من أدخل اللزوم في ضوابط التعريف مما عرضه إلى نقد من بعض الكتاب المعاصرين، وقد قسم الكناية إلى ثلاثة أقسام: « فاسمع أن المطلوب بالكناية لا يخرج عن أقسام ثلاثة: أحدهما: طلب نفس الموصوف، وثانيها: طلب نفس الصفة، وثالثها: تخصيص الصفة بالموصوف، والمراد: بالوصف هاهنا كالجود، في "الجواد" والكرم في "الكريم"»[17]. ويرى أن التلويح، والرمز، والتعريض، من أقسام الكناية «ثم أن الكناية تتفاوت إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة، ومساق الحديث»[18]، ولا تخرج تقسيمات السكاكي للكناية عن تلك التقسيمات التي وضعها من قبل الزمخشري، إلا أن السكاكي نظم هذه الأقسام وقسمها تقسيمات أخرى، إلى قريبة، وبعيدة، وحاول تقنينها وتعريفها.

وأما الخطيب القزويني فقد عرّف الكناية بأنها: «لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ»[19]، ثم ذكر أمثلة على ذلك فقال: «فلان طويل النجاد، أي: طويل القامة، وفلانة نؤوم الضحى،

---

[14] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف، تحقيق خليل مأمون شاي، دار المعرفة لبنان، ط3، سنة:2009م، ص:654.

[15] السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد، العراق، ط1، سنة:1982م، ص:637.

[16] المصدر نفسه، ص:637.

[17] المصدر نفسه، ص: 638.

[18] المصدر نفسه، ص: 638.

[19] الخطيب القز ويني الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1،سنة:2003م،ص:241.

المنارة للاستشارات

أي: مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها، في إصلاح المهمات»[20]، ثم قسم الكناية إلى ثلاثة أقسام فقال: «ثم الكناية ثلاثة أقسام؛ لأن المطلوب بها إما غيرُ صفة، ولا نسبة، أو صفه، أو نسبة، والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة »[21].

2.2. أقسام الكناية :

1.2.2. أولا: الكناية عن صفة:

وضابط هذا النوع، نصرح بالموصوف، وبالنسبة إليه، لكن لا نصرح بالصفة المكني عنها،بل بصفة، أو بصفات أخرى تستلزمها[22]، مثل قولك: (زيد كثير الرماد) فقد ذكرت الموصوف وهو (زيد) وذكرت له صفة وهي (كثرة الرماد)، لكنك لا ترد هذه الصفة نفسها؛ بل أردت صفة لازمة لها وهي الكرم، ومن أمثلة ذلك أيضا من القرآن الكريم قوله تعالى: «وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ »[23]، ففي الجملة الأخيرة كناية عن قضاء الحاجة،وهذا من أبلغ الصور الدالة على بشرية عيسى وأمه عليهما السلام، فإنها أوقعفي النفس وأبلغ، وآية في التهذيب اللفظي وغاية في الجمال،ومن الكناية عن صفة، في الحديث النبوي الشريف قوله عليه الصلاة والسلام:«رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[24]، ففي قوله: (حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)،كناية عن المبالغة في صفته بكتمان نفقته، وإخفاءصدقته، فإذا كانت شماله لا تعلم بما تنفقه يمينه، وهي سريحتها، وقسيمتها وجارتها ولصيقتها، فأجدر ألا يعلم بذلك غيرها ممن شط دارا وبعد جوارا[25].

2.2.2.ثانيا: الكناية عن موصوف

---

[20] المصدر نفسه، ص: 241.

[21] المصدر نفسه، ص: 225.

[22] عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، سنة:1992م، ص:102

[23] سورة المائدة، الآية 75

[24]البخاري، صحيح البخاري، أعده مصطفى ديب البُغاء، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ج1، رقم الحديث:629، ص:235.

[25] انظر: الشريف الرضي، المجازات النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة:2007م، ص:236.

المنارة للاستشارات
ww

وضابط هذا الضرب من الكناية، فيه نصرح بالصفة، ونصرح بالنسبة، لكن لا نصرح بالموصوف صاحب النسبة، بل نكني عنه بما يدل عليه ويستلزمه[26]، ومن أمثلة هذا الضرب من القرآن الكريم قوله تعالى: «وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾»[27]، فقد كنى - سبحانه وتعالى - بمعنيين من جنسين مختلفين عن الموصوف وهو السفينة المكونة من الألواح والدسر، وهي الأدوات التي تتكون منها السفينة، ومن الحديث النبوي الشريف قوله عليه الصلاة والسلام: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عندآخر آية تقرأها»[28] فهذا الحديث يعد كناية عن منزلة قارئ القرآن الكريم؛ لأننا نسمع فيه الصوت المترع بالإكرام، ولنا أن نتصور من ذلك، هذا القارئ يرتل بصوته الجميل، وكلما قرأ آية، ارتقى وصعد في منازل الجنة، إنها صورة تتميز بالحركة والتشخيص المعنوي الرائع، فالقارئ يتدرج فوق سلم الإيمان آية حتى يصعد إلى الغاية، القصوى إلى الجنة.

3.2.2.ثالثا: الكناية عن النسبة:

وفيها نصرح بالصفة، ونصرح بالموصوف، لكن لا نصرح بنسبة الصفة إلى الموصوف، بل نكنى عن هذه النسبة بنسبة أخرى تستلزمها[29]، ويتعين في هذا النوع من الكناية عندما تذكر الصفة، أن لا تنسب للموصوف بطريقة مباشرة، وإنما بطريقة تصور لزوم الصفة لهذا الموصوف، فعندما نقول مثلا: (فلان تحل السعادة في مجلسه، وتبرق عينه بالتفاؤل) فهذه كناية عن نسبة السعادة والتفاؤل إليه، لأننا لم نعبر عن هذا تعبيرا مباشرا فنقول: فلان سعيد متفائل، إنما بطريقة تصور لزوم السعادة له، ووضوح آثار التفاؤل عليه، ومثال ذلك من الحديث النبوي الشريف قوله عليه الصلاة والسلام: «إنّ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[30]. فقد نسب الشدّ الذي هو بمعنى التكاتف إلى البنيان، وهو يقصد نسبته إلى المؤمن.

3.المبحث الثاني: الصورة التهذيبية في الخطاب النبوي الشريف:

[26] عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، مرجع سابق:106

[27] سورة القمر، الآية:13 .

[28] الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط1، سنة،1996م، رقم الحديث:2914، ص:36

[29] انظر: عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، مرجع سابق:109

[30]البخار، صحيح البخاري، مصدر سابق، رقم الحديث:467،ص:182.

المنارة للاستشارات

الكناية لون من ألوان التعبير البياني، وطريق جميل من طرق التعبير الفني، ووسيلة قوية من وسائل التأثير والإقناع تعرض فيها الحقائق عرضا غير مباشر؛ لأن مقامات الكلام، منها ما يقتضي التصريح بالغرض مباشرة، وأحيانا منها ما يستدعي أن تعرض هذه الحقائق عرضا غير مباشر، فتكون في النفس أحلى وأبلغ من الإفصاح، قال عبد القاهر الجرجاني: «أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح»[31]؛ لأنه يتضمن بلاغة وبراعة في الكلام.

فالكناية تعبر عن المعنى تعبيراً موحيًا موجزاً عن طريق الإشارة بالحسي إلى المعنوي، وفيها يطلق القول ويراد به معنى آخر، أو معنى المعنى فهي: «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردِفُه في الوجود، فيوحي إليه، ويجعله دليلا عليه»[32]، ولذلك فإن الكناية تقوم على وسيلة فنية تتمثل في الانزياح عن اللغة المباشرة حيث تومئ إلى الفكرة المرداة بحسب المقام، لأن حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح ومن «عدم اللياقة في النطق أو التصريح بهذه الألفاظ الخسيسة والعبارات المستهجنة التي تدخل في دائرة الكلام الحرام، كما يقول علماء الاجتماع، قد يكون باعثه الاشمئزاز، الاشمئزاز مما تولده في النفس من مشاعر وانفعالات غير سارة، وقد يكون باعثه الخوف، الخوف من اللوم والنقد والتعنيف، والخوف من أن يدمغ المرء بالخروج عن آداب المجتمع الذي يعيش فيه، لذلك كانت الكناية هي الوسيلة الوحيدة التي تيسر للمرء أن يقول كل شيء، وأن يعبر بالرمز والإيحاء عن كل ما يجول بخاطره حراماً كان، أو حلالا، حسنا كان أو قبيحا، وهو غير محرج أو ملوم، وتلك مزية للكناية على غيرها من أساليب البيان»[33].

لقد شكلت الكناية في القرآن الكريم ولدى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصاحبه رضي الله عنهم أجمعين، نمطاً متميزاً يلجؤون إليه كلما أرادوا إحاطة تعبيرهم بهالة من التهذيب والوقار والاتزان، فضلا عن تصويرهم المعنى وتقديمه في أحسن صورة تعجز الأساليب البيانية الأخرى عن أدائه، فاللغة المهذبة مصدر إيحائي من مصادر البيان العربي، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، حريصا كل

[31] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص:69

[32] المصدر نفسه، ص:66

[33] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دون ذكر الطبعة والسنة، ص:420.

المنارة للاستشارات

الحرص على إيصال مفاهيمه إلى الجميع، دون جرح العواطف أو خدش المشاعر، أو اشمئزاز النفوس، وكان الطريق إلى ذلك هو الكناية، لأنها تمتلك قدرة على التعبير الموحي والمهذب في وقت واحد، إلى جانب الاتساع في الكلام، والمبالغة فيه، والمحافظة على الأدب الراقي الممتاز وحسبك ذلك في الأحاديث النبوية الشريفة عامة وما يعنينا نحن في هذا المقام، هو الجانب تهذيبي خاصة.

لذلك جاءت هذه الدراسة في جزئية معينة من أغراض الكناية، لتبين جانبا من جوانب بلاغته عليه الصلاة والسلام، ومدى امتزاج بين الوظيفة التهذيبية، والجمالية، بغية تحقيق الغاية الدينية، وبحكم الصلة بين البيان النبوي الشريف، والقرآن الكريم، كان علينا أولا، الوقوف عند الكناية القرآنية، ولو بشكل موجز وسريع، قبل الحديث عن الكنائية في الحديث النبوي الشريف.

1.3.الصورة التهذيبية في القرآن الكريم:

فالكناية لون من ألوان الغموض الفني، حيث يترك فيها التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، فهي لا تدل على الغرض من خلال الدلالات المباشرة للألفاظ، بل بما يلزمها: أي يكون لمعناه الذي يقتضيه في اللّغة دلالة ثانية تصل به إلى الغرض، وقد ذكر المبرد في كتابه الكامل أضرب الكناية فقال: «والكناية تقعُ على ثلاثةِ أضرُبٍ: أحدهما: التّعمية والتغطية... والثاني: ويكونُ من الكناية ـ وذاك أحسنها ـ الرغبةُ عن اللفظِ الخسيس المُفْحِشِ، إلى ما يدلُّ على معناه، من غيرِه...، وقال: «أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ »[34]، المُلَامَسَةُ في قول أهل المدينة ـمالك وأصحابه ـ غير كناية، إنما هو اللّمس بعينه، يقولون في الرجلِ تقَعُ يدهُ على امرأتِه، أو على جاريتِه، بشهوةٍ، إنّ وضوءَه قد انْتَقَضَ، وكذلكم قولهم في قضاء الحاجةِ: جاء فلانٌ من الغائط، وإنما الغائط الوادِي، ...وقال اللهُ جلَّ وعزَّ في المسيح بن مريمَ وأُمّهِ صلى الله عليهما: «كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ»[35]، وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة، وقال: «وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ»[36]، وإنما هي كناية عن الفروج، ومثل هذا كثير»[37]، واعتبر الضرب الثاني من أحسن الكنايات؛ لأن الكناية أكثر تساميا وترفعا، وأكثر أثراً لاحتوائها على المظاهر

[34] سورة النساء، الآية:43

[35] سورة المائدة، الآية:75.

[36] سورة فصلت، الآية:21.

[37] أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق، أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية بيروت، ط1،سنة:2004م،ج2، ص501.

المنارة للاستشارات

الحسية فهي كما تقول هيفاء عربية « المعين الذي لا ينضب في تصوير الأحوال الاجتماعية والإنسانية ومعاييرها، السلوكية والفكرية، منها والجمالية، وقد بدا جليا اهتمام العرب الفائق بهذا الفن القولي، ووظائفه، وعدّه بابا من علم البيان، له وظيفته الهامة في توجيه السلوك الإنساني، وفي إثراء اللغة عن طريق التوسع في المعاني والتفنن في الألفاظ»[38]، وتقوم الكناية القرآنية بنصيبها كاملا في أداء المعاني وتصويرها خير أداء، وهي حينًا راسمة مصورّة موجبة، وحيناً مؤدّبة مهذّبة تتجنّب ما ينبو عن الأذن سماعه، وحيناً موجزة تنقل المعنى الكبير في اللفظ القليل. وكثيراً ما تعجز الحقيقة أن تؤدي المعنى كما أدته الكناية، في المواضيع التي وردت فيها الكناية القرآنية[39].

وقد شاع أسلوب الكناية في القرآن الكريم، فجاءت تلك الكنايات اللطيفة التي يضمنها القرآن الكريم في كل مقام يتطلب التعبير غير المباشر، خاصة في أمور التي يعد الستر وعدم الإفصاح ضرورة، مثل ستر العورات وإخفاء ما ينبو في الأدب الرفيع ذكره والتصريح به، وكانت مقصدا شرعيا، ومطلبا خلقيا دعت إليه الشريعة الإسلامية، بل هو أمر الله جلّ وعلا، فقال: «**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ** ﴾»[40] وكذلك قوله تعالى: «**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** »[41]، ولما كان الستر من الصفات المحمودة، مدح الله تعالى الحافظين فروجهم والحافظات، وربط ذلك العمل بدخول الجنة فقال: «**قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ** .....**وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ** »[42]، ومن هذا الأسلوب اللطيف في القرآن الكريم ماجا في قوله تعالى: «**إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ** ﴾»[43]. فقد كنى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب؛ لأن ترك التصريح بذكر المرأة أجمل منه، «لهذا لم تذكر في القرآن امرأة باسمها إلا مريم. قال السُّهيليّ: وإنما ذكرت مريم باسمها على خلاف عادة الفصحاء لنكتة، وهو: أن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأٍ ولا يبتذلون أسماءهنَّ، بل يُكنون عن الزوجة بالفرش والعيال ونحو ذلك، فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهنّ،

[38] هيفاء عربية، الكناية في البلاغة العربية بين النظرية والتطبيق، بحث ماجستير جامعة حلب، سنة:1991م، ص:209.

[39] انظر: بكر ي شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، سنة:1994م، ص:207.

[40] سورة النور، الآية:31

[41] سورة النور، الآية:31

[42] سورة المؤمنون، الآية:187.

[43] سورة ص، الآية:23.

المنارة للاستشارات

ولم يصونوا أسماءهنَّ عن الذكر، فلمّا قالت النصارى في مريم ما قالوا، صرّح الله باسمها، ولم يكنْ تأكيداً للعبوديّة التي هي صفة لها، وتأكيداً؛ لأن عيسى لا أب له، وإلا لنُسب إليه»[44]، وكذلك عندما يكون التصريح مما يستقبح ذكره ككناية الله عن الجماع بالملامسة، والمباشرة، والإفضاء، والرفث، والدخول، والسِّرُّ[45]، ومن الأغراض التي يأتي لها الرمز في الكناية عن موصوف: استهجان الصفة كقوله تعالى: «أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ»[46]، وقد علل الزمخشري هذه الكناية في سياقها بالاستهجان وذلك لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماها ختيانا لأنفسهم : « فإن قلت: لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله: «وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ »[47]، فَلَمَّا تَغَشَّاهَا [48]،فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ ﴾[49]، أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[50]، دَخَلْتُم بِهِنَّ[51]، حَرْثُكُمْ ﴾[52]، مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾[53]، فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ ﴾[54] قلت: استهجانا لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختياناً لأنفسهم فإن قلت: لما عدى الرفث بإلى؟ قلت: لتضمنه معنى الإفضاء، لما كان الرجل والمرأة يعتنقان، ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه»[55]، إن كلا منهما الرجل والمرأة يشكل لباسا، أو ثوبا للآخر، تعبيرا عن الستر الذي يستتران به في الإشباع، وطالما يتستر الإنسان ليس في شؤونه فحسب، بل حتى في دقائق الأموره، التي لا يرغب في طّلاع الآخرين عليها، حتى لو كان الأمر عادي، فما بالك العلاقة الزوجية، وأما قوله تعالى في حديثه عن الحج حيث قال تعالى:«فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي

---

[44]. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ،سوريا دمشق،ط1،سنة:2008م،ص:516.

[45]. انظر: المصدر نفسه،ص:516.

[46]. سورة البقرة، الآية:187.

[47]سورة النساء ، الآية:21.

[48]. سورة الأعراف، الآية:189.

[49]. سورة البقرة، الآية:187.

[50]. سورة النساء، الآية:43.

[51]. سورة النساء، الآية: 23.

[52]. سورة البقرة، الآية:223.

[53]. سورة البقرة، الآية:237.

[54]. سورة النساء، الآية:24.

[55] الزمخشري، تفسير الكشاف، مصدر سابق،ص:114.

المنارة للاستشارات

ٱلْحَجِّ »[56] صيغة النفي، وحقيقته نهي: أي لا يرفث، ولا يفسق، « وهو أبلغ من النهي الصريح؛ لأنه يفيد أن هذا الأمر ممّا لا ينبغي أن يقع أصلا، فإنّ ما كان منكراً مستقبحا في نفسه، ففي أشهر الحج يكون أقبح وأشنع ففي الإتيان بصيغة الخبر وإرادة النهي مبالغة واضحة»[57]، وفي قوله تعالى: (رفث) كناية تتسق مع وجود عبادة الحج التي يتجه فيها العبد لله في كل الأوقات «ويحتمل أن يكون نهيا عن تعاطي الجماع، وأن يكون نهيا عن الحديث في ذلك، إذ هو من دواعيه، والأولى أصح لماوري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه أنشد في الطواف»[58]، وأما قوله تعالى : «نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ »[59] كناية تحمل الكثير من الدلالات والإيحاءات في لفظ "الحرث"، وهي إيحاءات غنية ممتعة، لأن الحرث في دلالته اللغوية ينطوي على كثير من المعاني ،فقد يأتي بمعنى "الزرع" وقد يأتي بمعنى "الأرض" وقد يأتي بمعنى "التقليب لتراب الأرض" وغيرها من المعاني وجميع هذه الدلالات: الأرض، الزرع، الثمار، دلالات تتوقف عليها الحياة من حيث كونها لابد منها وهذا من أجل استمرار الحياة، وكذلك الثمر الذي يجنيه الإنسان من الزواج يشكل مادة حيوية لامناص من توافرها في الحياة من أجل استمرار التناسل البشري، فلولا الغذاء، أكان من الممكن أن تستمر حياة الإنسان؟ ولولا الزواج أكان من الممكن أن تستمر الحياة البشرية؟ إن استمرارية التناسل البشري ليست إلا وسيلة للمهمّة الرئيسة التي خلق الله الإنسان من أجلها، ألا وهي: خلافة الإنسان في الأرض، لذلك ربط النص بين عملية (الحرث) والكناية التي تشير إلى التناسل البشري، وبين ضرورة أن ينتهز البشر فرصة الحياة، لكي يمارس مهمّته التي هي العبادة، ونؤكد في هذا المقام أنّ مهمّة النسل، لا تنفصل عن المهمّة العبادية للإنسان، ولذلك كانت العلاقة الزوجية ليست مجرّد إشباع عابر لحاجة حيوية، بل هي وسيلة لمهمّة عبادية ينبغي للإنسان أن يستثمرها، فيقدم لآخرته زاداً من خلال ممارسة التقوى حتى يظفر بالإشباع الحقيقي الخالد في اليوم الآخر، وهذا ما نراه في التعقيب في قوله تعالى: « وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ »[60] ثم المصير إلى الجنة[61].

---

[56] سورة البقرة، الآية:197.

[57] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط4،1981م، ج1، ص:131.

[58] الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، بيروت لبنان، دار الشامية، ط3، سنة:2009م، ص:360

[59] سورةالبقرة، الآية:117

[60] سورة البقرة، الآية:223.

المنارة للاستشارات

2.3.ثانيا: الصورة التهذيبية في الحديث النبوي الشريف:

وتبعا لمنهج القرآن الكريم في توجيه الأخلاق وترشيد النفوس، جاء البيان النبوي الشريف في التهذيب على منهجه في تهذيب النفوس وترشيدها، لأن الصورة البيانية في الحديث النبوي، تتسم بروعة الجمال، وقدرة النفاذ في الطبيعة الإنسانية من خلال توجيه استعداداته الفطرية نحو الخير والصلاح، فالكناية النبوية تزداد رفعة، لأنها تتبوأ منزلة سامية ومكانة رفيعة، فهي ليست زينة، أو حلية، أو شيئا من فضول الكلام، يسهل حذفه ويهون إسقاطه، بل هي الأصل الثابت الذي تدور عليه المعاني الأخلاقية، خاصة عند ما تتناول العلاقة الزوجية بطريقة أخلاقية فيأتي أسلوبه عليه الصلاة والسلام، منمقاً، مهذبا في لفظه، ويحمل معان، وإشارات توحي من خلال الدلالة على المعنى المقصود من أجل تأدية الوظيفة الخلقية، من خلال الستر عن ما يستحى ذكره، وحقيقة الأمر أن الكناية في البيان النبوي الشريف ليست محصورة في هذا الجانب الضيق، بحيث لا تخرج عن تغطية، وترفع عن المعنى الهابط، أو ستر عن اللفظ المستهجن، وإنما هي أوسع من ذلك، فهي تضم في دائرتها ـ فضلا عن ذلك ـ التعبير الذي يترك ظلالا خفيفة يشتعل بها الذهن ويعمل فيها الخيال، فيتشعب المعنى ويتسع ويزيد بالإيحاء من دلالة الكلام وكان المعنى شريفا واللفظ مقبولا[62]، ولذلك كانت الصورة الكنائية في الحديث النبوي الشريف «ضرورة فنية، لأنها مادة تصويرية، وضرورة اجتماعية دينية لطابعها التهذيبي، إذ أغنى التلميح عن التصريح، وفاقه تأثيرا وتثبيتا للمعنى، فالصورة الكنائية في الحديث ذات وظيفتين؛ لأنها أصلا سجل يحفل بالعادات والتقاليد الاجتماعية... »[63].

والتهذيب اللفظي مظهرٌ وظيفي من وظائف الكناية في الحديث النبوي الشريف « فثمة دوافع اجتماعية تعبر عن الذوق العام والخلق كامنة خلف الكثير من الكنايات، وهذه الوظيفة الخلقية ليست غريبة عن الكناية النبوية التي هي ظل لفكرة قائمة خلف جدار اللفظ، فالبعد الخلقي من الطبيعة التقنية للكناية، وذلك لاتكائها على الظل، فههنا نبحث في بعد فكري من أبعاد الكناية، يواكب طبيعة الدعوة

[61]انظر: محمود البستان، دراسات فنية في صور القرآن، مؤسسة الطبع التابعة للآستانة، ط1،سنة:1421هـ،ص:41.

[62] انظر: عبد القادر حسين، القرآن والصورة البيانية، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، سنة:1985م، ص:221.

[63] أحمد ياسوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، مرجع سابق، ص:251.

المنارة للاستشارات

الإسلامية وترفع البيان النبوي الذي ترعرع مع نزول القرآن الكريم بأسلوبه التهذيبي »[64]، وسيراً على منوال القرآن الكريم في كناياته، جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «جَاءَتِ امْرَأَةُ رِفاعَةَ القُرَظِيِّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ، فَطَلَّقَنِي، فأبَتَّ طَلَاقِي، فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ الزَّبِيرِ إنَّما معهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ، فَقالَ: أتُرِيدِينَ أنْ تَرْجِعِي إلى رِفَاعَةَ؟ لَا، حتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ ويَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ، وأَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَهُ، وخَالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ بالبَابِ يَنْتَظِرُ أنْ يُؤْذَنَ له، فَقالَ: يا أبَا بَكْرٍ ألَا تَسْمَعُ إلى هذِه ما تَجْهَرُ به عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ...»[65]، فقولها (مِثْلُ هُدْبَةِ الثوب: الهُدْبَة (بضم الهاء وسكون الدال وهي طرفه الثوب الذي لم ينسج شبهُوها بهدب العين، وهو شعر الجفن)[66]، وأرادت متاعه، أنه رِخْوٌ مثل طرف الثوب، وفي ذلك تعبير عن العنّة بالتشبيه بطرف الثوب الرخي الذي يبقى على الدوام مرتخيا، فلا يصل منها إلى شيء، ولا يشبع غريزتها.

ونلحظ في تعبير المرأة، السمة التهذيبية، والصفة الخلقية، التي تتلاءم مع ما يتصف به المجتمع الإسلامي، وجهرها بما تودّ السؤال عنه، حيث عبرت عن الغاية على أتم وجه، وأحسن صورة، وأجمل لفظ، فلم تصرح على النحو الذي تخدش به الحياء، وهذا يوضح الآداب التي يتسم بها المسلم في المعاشرة الزوجية، إلى جانب أنها لم تفضح به زوجها الثاني، وهذا الأسلوب الدال على روح الصيانة والتعفف، فقد عبرت عن المراد الذي تهدف إليه بأسلوب الكناية الذي يقوم على الإيحاء والتلميح.

أما الرسول صلى الله عليه وسلم فكان يتبسم، ويفهم الغاية التي تهدف إليها المرأة، وهي العودة إلى زوجها الأول، فيتوجه إليها قائلا: (أتريدين أن ترجعي إلى رِفَاعَةَ؟ لَا، حتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ ويَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ) وبذلك يضع الحد الفاصل بذكره للحكم الشرعي الذي يحلّل العودة إلى زوجها الأول، فقد أدرك أنها لم تستكمل الواجب في هذا الأمر، ولم يقع ما به تحليلها لزوجها الأول، إذ التحليل لا يكون بمجرد العقد، وإنما يكون بالعلاقة الزوجية التي تشعر باللذة والاستمتاع، وهو من أهم شروط التحليل، فقد علق النبي صلى الله عليه وسلم، الحلّ على ذوق العسيلة منهما « لأن الحكم يتعلق بذوق العسيلة

[64] المرجع نفسه، ص:264

[65] البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، ج2، رقم الحديث:2496، ص:933

[66] العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مصدر سابق،ج10،ص:584.

المنارة للاستشارات
ww

ولا تحصل من غير انتشار، وبشرط أن يكون الزوج الثاني ممن يمكن جماعه، لا طفلا لا يتأتى منه الجماع»[67].

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: (حتَّى يَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ وتَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ) فالكناية هنا عن لذة المعاشرة الزوجية، فلو عبر عنها بأسلوب الحقيقة لجاءت الصياغة بكلام يستحى من ذكره، وقد جاء هذا التلميح بلفظ النبي صلى الله عليه وسلم بالمستوى الخلقي الذي لمسه عند المرأة عندما عبرت عن العنّة بالتشبيه بطرف الثوب الرخي، قال أحمد ياسوف «فإننا نلمح في هذا النص تلميحين: الأول: التعبير عن العنّة بالتشبيه بطرف الثوب الرخي، وهو بلفظ المرأة والضمير يلقي الظل على التشبيه ليزيده أدبا، فالمقصود بالضمير زوجها، والمشبّه الحقيقي عضو منه وههنا تعبير بالكل عن الجزء من باب المجاز، لعل مثل هذا تعجز عنه ضمائر اللغات الأخرى.

والتلميح الثاني: وهو بلفظ النبي عليه الصلاة والسلام جاء بالمستوى الخلقي الذي لمسه عند المرأة،فثمة موازاة فنية وضرورة خلقية، وهو التعبير عن المعاشرة الزوجية بتصغير كلمة "عسل" وهذا الاشتقاق جديد في اللغة العربية، أولع به العلماء فصنفوه في غريب الحديث، في حين تقتصر غرابته على الانحراف عن اللغة المعجمية على طريق الاستعارة، والجامع لذة المعاشرة ولذة العسل يحتاج إلى تدبر إذ لا نجد تطابقا ولا تماثلا، بل تشابها يدعو إلى ربط عالمين، ولا نظن أن الصحابة استجهلوا هذه المفردة»[68].

إن هذا الوصف الإيحائي الفني وهذا المشهد التعبيري وهذا التصوير الجمالي ليربو على النقل المباشر المجرد لأن لازمَ اللفظِ وظلَّ المعنى يحمل في طياته كثيرا من التشويق، لأنه لم يتوقف عند وظيفة الستر وعدم التصريح عن الكلام الخسيس، أو الحرام، أو العبارات المستهجنة، وإنما «يحمل في ظلاله كثيرا من التشويق لما بعد اللفظ كأن المستمع يقول: ما هذه الهدبة...؟ وما علاقة العسل...؟ فيظل متشوقا حتى يصل من لازم اللفظ إلى ملزومه؛ وهكذا يظل النص النبوي يشدُّ السامع من جهة ويؤدي غرضا أخلاقيا من جهة أخر»[69].

---

[67] وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر بدمشق، سوريا، ط3،سنة:1984م،ج7،رقم الحديث:2616،ص:475

[68] أحمد ياسوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، مرجع سابق،ص:268.

[69] أحمد بدوي منصور ابشابشة، وظائف الكناية والتعريض في الحديث النبوي الشريف، جامعة آل البيت، لبنان ، ماجستير،ص:53

المنارة للاستشارات

ومن الصور الكنائية في الخطاب النبوي الشريف، قوله صلى الله عليه ويسلم: «مَن يَضْمَن لي ما بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَما بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَن له الجَنَّةَ»[70]، الجنة. ما أعظم الجنة. يضمنها ضامنٌ، ما أصدق الضامن. لمن يضمنها؟ وبم يضمنها؟ ما أعظم ما تُضْمَنُ به الجنة؟ عبارة، قصيرة فيها أمران هما شرط الضمان... بل هما كنايتان يتضمنان الإيمان، فَيُسْلمان إلى الأمان: ضمانُ ما بين اللَّحيين، وضمان مابين الرجلين [71].

كنايتان الأولى: في قوله عليه الصلاة والسلام: (ما بين لحييه)، والثانية في قوله:(وَما بَيْنَ رِجْلَيْهِ).

الكناية الأولى: بالموصول الأول ما بَيْنَ لَحْيَيْهِ: واللحيان هما العظمان بجانبي الوجه، وهما منبت الشعر من الرجل، وما مثلهما من الأنثى، فأي شيىء بينهما؟ بينهما منجاة المرء، أو هلاكه: بينهما، ثلاثة أصابع أو أقل... ولكنه أوسع من الدنيا وأعمق؟ الفم تعبر من خلاله كل أنواع اللذائذ التي قد تكون حلالاً، أو حراماً، وأنه يحوي اللسان الذي هو أداة الكلام، وقد يستعمل للخير والفضائل، وقد يستعمل للشر والرذائل.

فهي كناية عن الفم، وآليته اللسان، كنى عنه بالموصول الأول: (ما بين لحييه) حصائد الأطعمة، وحصائد الألسنة، يسلم منها المرء، ولذلك وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة عن حفظ اللسان منها: « ألا أخبرُكَ بملاكِ ذلِكَ كلِّهِ ؟ قُلتُ: بلَى يا نبي اللَّهِ، فأخذَ بلِسانِهِ قالَ: كُفَّ عليكَ هذا، فقُلتُ: يا نبيَّ اللَّهِ، وإنَّا لمؤاخَذونَ بما نتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: ثَكِلَتكَ أمُّكَ يامعاذُ، وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم»[72] وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يَسْتَقِيمُ إِيمانُ عبدٍ حتى، يَسْتَقِيمَ قلبُه ولا يَسْتَقِيمُ قلبُهُ حتى يَسْتَقِيمَ لسانُهُ»[73]، اللسان ضمان أول من ضمان الجنة» .

وأما الكناية الثانية فقد كنى صلى الله عليه وسلم بالموصول الثاني: (ما بين رجليه)، لا وأدب النبوة ينأى بحيائه عن كشف العورة باللفظ، تأكيداً لسترها الواجب، وهي كناية عن تجنب الرجل والمرأة كل أنواع الزنا، حتى لا تلم به الفاحشة والالتزام بالعفة والطهارة، وقد عبرت الكناية باللفظ الأكثر

---

[70] البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق:ج5،رقم الحديث:6109،ص:2376

[71] انظر:كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، دار اقرأ ،بيروت ،لبنان،ط1،سنة:1984م،ص:218.

[72] الترمذي، الجامع الكبير ،مصدر سابق،ج4،ص:363.

[73] محمد ناصر الدين الألبان الترغيب والترهيب، دار المعارف للنشر والتوزيع، الرياض،ط1،ج3،رقم الحديث: 2865،ص:1055.

المنارة للاستشارات
ww

تهذيبا ولباقة وارتياحا لدى المستمع والقارئ، وفي ذلك مراعاة للعرف الاجتماعي الأخلاقي، فالتهذيب هو المظهر الاجتماعي لوظيفة الكناية والبعد الخلقي من طبيعتها الفنية، لاتكائها على الظل والتلميح والتوقع، أكثر من التصريح؛ لأن الكناية في الأصل تعبير عن اللباقة والذوق الرفيع «يعبر به المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، وعن الفاحش بالظاهر»[74].

وإذا نظرنا إلى الفعل "يضْمنُ" فإنه من ضَمِنَ الشيء وضمن به ضمانا: أي كفل به، وبذلك يكون الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية، فأطلق الضمان وأراد لازمه، وهو أداء الحق الذي عليه، ولا يتحقق إلا بالحفظ للجوارح التي من أبرزها الفم والفرج وهي من أعظم البلاء على المرء في الدنيا، فمن وقي شرهما أمن من الشر كله[75].

هاتان الكنايتان إذن ما أوجزهما من لفظ ،وما أوسعهما من مدلول ليس له جزاء دون أن يضمن الصادق لفاعلهما الجنة، وهكذا يجمع البيان النبوي الشريف، بكناية خفيفة من اللفظ، ما يملأ الميزان، ويدخِلُ المُؤمن دار الأمان[76]، وهاتان اللفظتان تتمتعان بالوجازة مع الكناية الجميلة، «ولاشك أن مجرد ذكر ما يتصل بالجماع في الترغيب بالجنة " أضمن له الجنة " يعني تنفيراً للآذان والقلوب، وتلك نقيصة ما أرادها فن الحديث النبوي الذي كانت غايته في الشكل والمضمون هي التواصل بين المبدع والمتلقي»[77].

ومن الأحاديث القائمة على التصوير الكنائي التي يستوجب فيها التلميح، والإيماء، على التصريح ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا جَلَسَ بيْنَ شُعَبِها الأرْبَعِ، ثُمَّ جَهَدَها، فقد وجب الغسل»[78]، فقوله: « (بين شُعَبِها) بضم الشين المعجمة، وفتح العين المهملة، جمع شُعْبة، ويروي أشعبها، جمع شُعَب، وقال ابن الأثير: الشعبة الطائفة من كل شيء، والقطعة منه، والشعب، النواحي واختلفوا في المراد بالشعب الأربع، فقيل: هي اليدان والرجلان، وقيل: الفخذان والرجلان، وقيل: الرجلان والشفران، واختار القاضي عياض، أن المراد من الشعب الأربع نواحيها الأربع والأقرب أن يكون المراد اليدين والرجلين، أو الرجلين والفخذين، ويكون الجماع مكنيا عنه بذلك يكتفي

[74] انظر: ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، تحقيق،محمد حنفي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دون ذكر الطبعة، والسنة، مصدر سابق،ص:143.

[75] انظر :مسعودمرزوقي،التصوير البياني في الخطاب النبوي الشريف،أطروحةالدكتوراه،قسم اللغة العربية،جامعة الجزائر2، ص:435.

[76] انظر:كمال عز الدين،الحديث النبوي من الوجهة البلاغية،مرجع، سابق ص:219.

[77] أنظر:أحمدياسوف،الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف،مرجع سابق،ص:267.

[78] البخاري ،صحيح البخاري،مصدر سابق،ج1، رقم الحديث:287، ص:111،

المنارة للاستشارات

بما ذكر عن التصريح، وإنما رجح هذا؛ لأنه أقرب إلى الحقيقة في الجلوس بينهما»[79]، وقال الطيبي: « وإنما عدل إلى الكناية بذكر "الشعب الأربع" للاجتناب عن التصريح بذكر الشفرين ولو أريد به اليدان والرجلان لصرح بها »[80]، وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «(جَهَدَها) بفتح الجيم والهاء أي: بلغ جهده، فيها، وقيل: بلغ مشقتها، يقال، جهدته، وأجهدته إذا بلغت مشقته»[81]. قال الطيبي: «وأرى أصل الكلمة من الجهد، والذي هو الجد في الأمر وبلوغ الغاية، وإنما عبر عنه بهذا اللفظ المبهم تنزهاً عن التفوه بما يفحش ذكره صريحا ما وجد إلى الكناية سبيلا إلا في صورة تدعو إلى الضرورة إلى التصريح على ما ذكره في حديث ماعز بن مالك وغيره لتعلق الحد بذلك وقد اعتمد في الحديث على فهم المخاطبين فعبر عنه بالجهد والمراد منه التقاء الخاتنين »[82]. والمراد: أنَّ الرَّجلَ إذا جلَس مِن المرأةِ موضِعَ العلاقة الزوجية فقد وجَب الغُسلُ، سواءٌ أنزَل أم لا، والواضح في الحديث أنه يقرر بالصورة الكنائية حكمًا فقهيًا، لذلك كانت الوسائط قليلة مما جعل الصورة تتسم بالوضوح، والإيماء، مع أن الكناية النبوية تتسم بقلة الانتقال من اللازم إلى الملزوم، لذلك سهل إدراك المعنى المقصود، ومن الصور الكنائية الجميلة التي تحرك النفوس وتهز القلوب بأسلوب مهذب يترفع عما يفحش من الكلام، نجد ذلك في حديث الثلاثة الذين خرجوا يمشون فأصابهم المطر فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة، قال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه قال أحدهم: « اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِن بَناتِ عَمِّي كَأَشَدِّ ما يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّساءَ، فقالَتْ: لا تَنالُ ذلكَ مِنْها حتَّى تُعْطِيَها مِئَةَ دِينارٍ فَسَعَيْتُ فيها حتَّى جَمَعْتُها، فلما قعدت بيْنَ رجليها قالت: اتَّقِ اللَّهَ ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلَّا بحَقِّهِ،فَقُمْتُ وتَرَكْتُها فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنِّي فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغاءَ وجْهِكَ، فافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قالَ: فَفَرَجَ عنْهمُ الثُّلُثَيْنِ »[83]، ففي قولها: (اتَّقِ اللَّهَ ولا تَفُضَّ الخاتَمَ) كنّت بالخاتم عن بكارتها وفي ذلك يقول العلوي: « ومن ذلك ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: كانت امرأة ممن كان من قبلنا، وكان لها ابن عم يحبها فراودها على نفسها فامتنعت منه، فأصابتها سنة مجدبة، فجاءت إليه تسأله فراودها فمكنته من نفسها، فلما قعد منها مقعد الخائن قالت له: اتق الله ولا تفضض الخاتم إلا بحقه فقام

[79] العيني،عمدةالقارىء،تحقيق:عبد الله محمود محمد عمر،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، سنة:2001م،ج3،ص:365

[80] الطيبي، شرح مشكاة المصابيح ، تحقيق عبد الحميد هنداوي،مكتبة نزار مصطفى الباز،مكة المكرمة،ط1، سنة:1997م، ج1،ص :807.

[81] العيني،عمدةالقارئ، مصدر سابق،ج3،ص:365.

[82] الطيبي،شرح مشكاة المصابيح، مرجع سابق،ط1، سنة:1997م، ج1،ص :807.

[83] البخاري،صحيح البخاري مصدر سابق،ج2، رقم الحديث:2102، ص:771

المنارة للاستشارات

وتركها، وهذه كناية قد وقعت موقعها في اللطافة والرقة، وكَنَّتْ بالخاتم عن بكارتها، وأنها بمنزلة الشيء المختوم الذي لم ينكسر ختمه »[84].

ومن الكنايات التي تم العدول فيها عن المعنى الظاهر الصريح إلى الأسلوب المهذب، تظهر فيه الكناية بأبعادها الأخلاقية وأسلوبها اللطيف الرفيع، مشتملة على التصوير الحسي، مما يؤكد فعلا على الوظيفة الخلقية وعلى الستر وعدم الإفصاح على المعنى الحقيقي ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: « جاء عمرُ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: يا رسولَ اللهِ هلكتُ! ما أهلكَك؟ قال: حوَّلتُ رَحْلي الليلةَ: ؟ قال فلم يَرُدَّ عليه رسولُ اللهِ صلَّى شيئًا قال: فأُنزِلَتْ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ هذه الآيةُ «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ»[85] أقبِلْ وأَدبِرْ واتَّقِ الدُّبُرَ والحَيضَةَ »[86]، ويقول ابن الأثير: «كنى برحله عن زوجته، أرادبه: غشيانها في قبلها من جهة ظهرها؛ لأن الجامع يعلو المرأة ويركبها مما يلي وجهها فحيث ركبها من جهة ظهرها كنى عنه بتحويل رحله»[87]، فالصورة الحسية التي نقلتها الكناية تمثل تغيير هيئة العلاقة المعتادة بلفظ مهذب رقيق يتسم بالستر عما يستحى ذكره والتصريح به، والوظيفة الثانية في هذه الكناية أنها أدت حكماً شرعياً هو: إباحة إتيان المرأة على حال كانت مستلقية، أوقائمة، أو مقبلة، أو مدبرة بشرط أن يكون ذلك في مكان الحرث والزرع، الذي أمر الله به[88]، وأن يتقي الدبر والحيضةُ «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ»، وفي هذا يقول العلوي: «كنى عمر بقوله: (حولت رحلي) عن أنه أتى امرأته من جهة دبرها،فجعل تحويل الرحل كناية عن ذلك أن المرأة للرجل بمنزلة الناقة،يأتيها في الركوب من أي جوانبها شاء،فهكذا حال المرأة »[89]، ومن الصور الكنائية الجميلة التي جاءت أيضا في حق المرأة قوله عليه الصلاة والسلام في حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ويحك يا أَنْجَشَةُ رويدك سَوْقَكَ بالقَوَارِيرِ »[90]، روي أن رجلا يقال له "أنجشه" غلام أسود وكان في بعض أسفاره، فحدا بالإبل فطربت لحسن

---

[84] العلوي،الطراز،تحقيق عبدالحميد هنداوي،دار الكتبة العصرية ،صيدا بيروت لبنان،ط1،سنة:2002م، ج1،ص:206.

[85] سورة البقرة،الآية:223.

[86] ابن الأثير،النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق:علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد،دار ابن الجوزي، جدة، السعودية،ط1،سنة:1421هـ، ص:352.

[87] المصدر نفسه،ص:352..

[88] انظر: محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم،بيروت ،لبنان،ط7،سنة:1981م،ج1،ص:197.

[89] العلوي،الطراز،مصدر سابق، ج1،ص:207.

[90] البخاري صحيح البخاري،مصدرسابق،ج 5 ،رقم الحديث:5797،ص: 2278.

المنارة للاستشارات

حُدَائِهِ فأسرعت في سيرها وعليها النساء، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ويحك يا أنجشة، سوقَك بالقوارير «فهذه كناية لطيفة، وإنما كنى عنهن بالقوارير لأمور ثلاثة: أما أولاً فلما هن عليه من حفظ الأجنة، والوعاء كالقارورة تحفظ ما فيها، وأما ثانياً فلاختصاصهن بالصفاء والصقالة والحسن والنضارة، وأما ثالثاً فلما فيهن من الرقة والمسارعة إلى التغير والانثلام،كما يتسارع الانكسار إلى القارورة لرقتها، وهذا الوجه هو الذي يومىء إليه كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال له: رفقا بالقوارير »[91] وفي شرح هذا الحديث قال النووي : «إن أنجشه كان حسن الصوت، كان يحدو بهن، وينشد شيء من القريض والرجز، وما فيه تشبيب، فلم يأمن أن يفتنهن ويقع في قلوبهن حداءه، فأمره بالكف عن ذلك. والقول أن المراد الرفق في السير،لأن الإبل إذا سمعت الحذاء أسرعت في المشي واستلذته، فأزعجت الراكب وأتعبته،فنهاه عن ذلك،لأن النساء يضعفن عند شدة الحركة، ويخاف ضررهن وسقوطهن »[92].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي تقوم فيها الكناية بالتصوير والستر والتهذيب ما جاء عن إياس بن سلمة: حدثني أبي قال: « غَزَوْنَا فَزَارَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ، أَمَّرَهُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عَلَيْنَا... وفيهم امرأة من بني فِزَارة عليها قَشَعٌ من أَدمٍ، ومعهَا ابْنَةٌ لَهَا مِن أَحْسَنِ العَرَبِ، فَسُقْتُهُمْ حتَّى أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ، فَنَفَّلَنِي أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ وَما كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، فَلَقِيَنِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ في السُّوقِ، فَقالَ: يا سَلَمَةُ هَبْ لي المَرْأَةَ، فَقُلْتُ : يا رَسولَ اللهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي وَما كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، ثُمَّ لَقِيَنِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الغَدِ في السُّوقِ، فَقالَ لِي: يا سَلَمَةُ، هَبْ لي المَرْأَةَ لِلَّهِ أَبُوكَ، فَقُلْتُ هي لكَ يا رَسولَ اللهِ، فَوَاللَّهِ ما كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، فَبَعَثَ بهَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ إلى أَهْلِ مَكَّةَ، فَفَدَى بهَا نَاسًا مِنَ المُسْلِمِينَ كَانُوا أُسِرُوا بمَكَّةَ »[93]، فقوله: « وَما كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، » أو «فَوَ اللَّهِ ما كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا» قال المباركفوري: كناية عن عدم الجماع[94] وقال النووي:« فيه استحباب الكناية عن الوِقَاعِ بما يُفْهِمُهُ »[95]، إن هذه الكناية تقدم لنا

---

[91] العلوي،الطراز،مصدر سابق، ج1،ص:206.

[92] شرح النووي على متن صحيح، مسلم:حاشية ارشاد الساري،دار الكتاب العربي، بيروت، ط7، سنة:1983م، ج9،ص:174.

[93] مسلم بن الحجاج القشيري،صحيح مسلم،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي،ط1،سنة: 1955م، ج3،رقم الحديث:1755،ص:1376.

[94] صفي الرحمن المباركفوري، منة المنعم في شرح صحيح مسلم،دار السلام للنشروالتوزيع،الرياض،السعودية،ط1،سنة:1999م،ج3،ص:183

[95] أبو الطيب محمدصديق،السراجالوهاج،شرح مختصر صحيح مسلم،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،دون ذكر سنة الطبعة،ج5،ص:57

المنارة للاستشارات
ww

صورة حيّة للبعد الأخلاقي الذي كان يتمتع به الصحابة رضي الله تعالى عنهم انْعَكَسَ ذلك في واقعهم؛ لذلك فإننا نجد ملامح هذا السَّتْرِ في التعبير الكنائي، فعدم كشف الثوب عن المرأة يوحي إلى عدم وقوع الجماع، بل يوحي إلى ما هو أبعد من ذلك وهو عدم فعل مقدمات الجماع.

ومن ذلك أيضا ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: «...والله إنَّ الرَّجل الذي قِيل له ما قيل ليقول: سبحان الله فوالَّذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط»[96]، قال النووي: الكنف هنا: بفتح الكاف والنون، أي: ثوبها الذي يسترها، وهو كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخا لطتهن[97]

ومن الأحاديث التي تدل على العلاقة الزوجية، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: شَهِدنا بِنْتاً لِرَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، قَالَ: وَرَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ جالِسٌ علَى الْقَبْرِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ قالَ: فَقَال: « هَلْ مِنْكُم رجُلٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ فَقَالَ أبوطلحة: أَنَا قال:(فَانْزِلْ) قالَ: فَنَزَلَ في قَبْرِهَا »[98]، ولفظ القرف يأتي بمعنى: لحاء الشجر، واحدته قِرْفَةٌ، وكذلك قولهم: قرف الرجلَ بسوء: رماه، وقرفت الرجل بالذنب قرفا إذا رميته، وقال الأنصاريُّ: أي لم يذنب، وقيل لم يجامع أهله وبه جزم ابن حزم فقال: المقارفة الوطء، لا مقارفة الذنب ومعاذ الله أن يتزكى أبو طلحة بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لم يقارف ذنبا، وهو الأصح بدليل ما جاء عند أحمد بلفظ "قارف أهله"[99]، ويأتي أيضا بمعنى، بغى عليه وقرفه بالشيء،بمعنى اتهمه والقرفة التهمة وقد يأتيا لمكني به بمعنى الرفث مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «من حجَّ لله فلم يرفث ولم يفسق رجعَ كيومِ ولدتهُ أمّهُ»[100]، وفي اللسان العرب: «الرفث الجماع وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته وأصله قول الفحش. والرَّفَثُ: أيضا: الفحش، من القول وكلام النساء في الجماع»[101].

ويأتي اللفظ المكني به بدلالة "أتى أهله"، ومن ذلك ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله اللهم جنبنا

---

[96] البخاري،صحيح البخاري،مصدر سابق،ج3،رقم الحديث:3910،ص:1522.

[97] النووي،شرح صحيح مسلم:ج7،ص:70

[98] البخاري،صحيحالبخاري،مصدر سابق،ج1،رقم الحديث:1225،ص:432.

[99] انظر:الألباني ،محمد ناصر الدين،مختصر صحيح البخاري: مكتبة المعارف، الرياض،السعودية،ط1،سنة:2002م،ج1،ص:276.

[100] البخاري،صحيحالبخاري،مصدر سابق،ج1،رقم الحديث:1225،ص:432.

[101] ابن منظور،لسانالعرب،مصدر سابق،ج5،ص:263.

المنارة للاستشارات

الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره »[102]، وهذا دُعاء يقوله الرجل عندما يجامع أهله، وهو: «اللهمَّ جَنِّبْني الشَّيطانَ، وجَنِّبِ الشَّيطانَ ما رزَقْتَنا »[103]، وقد يأتي المكني به بدلالة الدعوة إلى فراشه، ومن ذلك ما ثبت عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دَعا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إلى فِراشِهِ، فأبَتْ فَابَتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حتَّى تُصْبِحَ »[104]، وقد يأتي المكني به أيضا لدلالة على العلاقة الزوجية، بمعنى البَاءَةَ، والحث على النكاح مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ »[105]، الباءة بالهمزة وتاء تأنيث ممدودٌ وفيها لغة أخرى[106] ومعنى الباءة في اللغة النكاح والتزويج، ويقال: الجماع نفسه باءة والأصل في الباءة المنزل، ثم قيل لعقد التزويج باءةٌ[107] وأصله الموضع الذي يتبوَّؤه ويأوي إليه، ومنه مباءة الإبل وهي مواطنها، ثمَّ استعير لعقد الزواج؛ لأن من تزوج المرأة بوّأها منزلا[108].

وأما معنى الباءة في الحديث قال النووي: «اختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين، يرجعان إلى معنى واحد: أصحهما أن المراد معناها اللغوي وهو الجماع، فتقديره من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه – وهي مؤن النكاح – فليتزوج... ولقول الثاني أن المراد هنا بالباءة النكاح، سميت باسم ما يلازمها وتقديره من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع فليصم لدفع شهوته»[109].

الخاتمة:

ولعلنا بعد هذه يمكن القول أن البيان النبوي الشريف يفيض بنماذج كثيرة من الكنايات الدالة على أسلوب التهذيب، وماهذه النماذج إلا غيض من فيض، مما جاء في الأحاديث النبوية الشريف فقد أشار العسقلاني إلى: « أن أسماء الجماع كلها كنايات لاستقباح ذكره، فيبعد أن يستعير من لا

---

[102] البخاري،صحيح البخاري،مصدر سابق،ج1،رقم الحديث: 141،ص:66.

[103] محمد علي الصابوني،مختصر تفسير ابن كثير:دار القرآن الكريم،بيروت،لبنان،ط7،سنة:1981م،ج1،ص:177.

[104] البخاري،صحيح البخاري،مصدر سابق،ج3،رقم الحديث:3065،ص:1182.

[105] البخاري،صحيح البخاري،ج2،رقم الحديث:1806،ص:673.

[106] العسقلاني،فتح الباريشرح صحيح البخاري،مصد سابق،ج15،ص:214.

[107] ابن منظور،لسان العرب،مصدر سابق،ج1،ص:529.

[108] العسقلان،افتح الباري مصدر سابق،ج15،ص:215

[109] النووي،المنهاج فيشرح صحيح مسلم بن الحجاج،بيت الأفكار الدولية،دون ،ط1،دون ذكر السنة،ص:868.

المنارة للاستشارات

يقصد فحشا اسم ما يستفظعه لما لا يستفظعه، فدل على أنه في الأصل للعقد، وهذا يتوقف على تسليم المدعي أنها كلها كنايات،وقد جمع اسم النكاح ابن القطاع فزادت على الألف »[110].

ولذلك فإن الكنايات النبوية الشريفة تؤكد على تناسق البلاغة النبوية في تركيزها على أمر مهم يتصل بمقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، ولما كان الستر من الصفات المحمودة، والممدوحة في القرآن الكريم، وبحكم أن التهذيب بالألفاظ مظهر وظيفيّ، من وظائف الكناية، في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، لذلك كانت هذه الوظيفة الخلقية ليست غريبة عن الحديث النبوي، فالحديث عن العلاقة الزوجية نالت المكانة الرفيعة في البيان النبوي، تبعا لمنهج القرآن الكريم التهذيبي، فالتعبير عن ما يتصل بالمرأة والعلاقة الزوجية أخذ منهجا أخلاقيا تربويا، وذلك بغية إصلاح السلوك اللفظي حيث يستطيع المرء أن يتجنب التصريح بالألفاظ الخسيسة، أو الكلام الحرام، والعبارات المستهجنة والتي تبعث على الاشمئزاز، أو ما يدفع بالمرء إلى الخروج عن آداب الدين، والمجتمع، لذلك كانت الكناية هي الوسيلة الوحيدة، القادرة على أن يقول المرء كل شيء يجول في خاطره، فهي تمثل أسلوبا متميزا من خلال الإيحاء، والرمز، أو الإشارة، وبذلك تكون الكناية النبوية قد ركزت على إبراز الغرض الأخلاقي التربوي، من خلال عدم التصريح مما يستحى ذكره، والاكتفاء بالرمز والإشارة إليه، وبذلك تكون قد حققت أيضا الجانب النفسي في التلطف فيها فلم تحرج مشاعر.

وإلى هذا المقصد الديني والأخلاقي، قامت الكناية في الحديث النبوي الشريف في تقرير أحكام فقهية تضع الحد الفاصل بذكرها للحكم الشرعي الذي يحلّل ويحرم، إذ التحليل لا يكون بمجرد العقد، وإنما يكون بالعلاقة الزوجية التي تشعر باللذة والاستمتاع، كما هو الحال في حديث امرأة رفاعة، وهو من أهم شروط التحليل.

فالكناية من الألوان البلاغية التي تمتلك مزايا تضفي على المعنى جمالا، وتزيده قوة في إبراز المعاني وتجسيدها بصورة محسوسة ومؤثرة في النفس، وكذا الإيجاز، ودلالة الكلمة الواحدة على عدة معان يحتاج كل معنى فيها، إلى التعبير عنه بلفظ خاص، والاستعاضة عن هذا التطويل بلفظ الكناية الذي يحمل في طياته العديد من المعاني، لذلك وظف البيان النبوي الشريف هذا الأسلوب الجميل في تجسيد المعاني بطريقة يسمو فيها القول سمواً كبيرا، يومئ إلى الفكرة المقصودة بألين لفظ وأرقى

[110] العسقلاني،فتح الباري بشرح صحيح البخاري،مصد سابق،ج9،ص:103

المنارة للاستشارات

تعبير؛ وبذلك يحقق الأسلوب النبوي الشريف جمالية الأسلوب لوظيفة الكناية في الحديث النبوي الشريف.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

01- ابن أبي الإصبع، (د.ت.)، تحريرالتحبير،تحقيق: محمد حنفي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ط.

02- ابن الأثير، (1421هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق:علي بن حسن،دار ابن الجوزي، السعودية، ط1.

03- ابن حجر العسقلاني،(د.ت.)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: ابن الباز،دار المعرفة،لبنان

04-ابن منظور،محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين،(د.ت.)، لسانالعرب،تنسيقوتعليق:عليشيري،دار إحياء التراث العربي،لبنان،ط1، ج12.

05-أبو الطيب، محمد صديق، (د.ت.)، السراج الوهاج،دار الكتب العلمية، لبنان،ط1،ج.5

06-أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، (2004)، الكامل في اللغة والأدب،تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، ج2، ص.501

07-أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (2009)، تفسيرالكشاف،تحقيق خليل مأمون شاي،دار المعرفة، لبنان،ط3.

08-أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، (1982)، مفتاح العلوم،تحقيق:أكرم عثمان يوسف،مطبعة دار الرسالة،العراق،ط1.

09-أحمد، بن فارس بن زكريا أبو الحسين، (1972)، مقاييس اللغة، تحقيق:عبد السلام محمد هارون،دار الفكر، مصر، ج5. 139.

10-أحمد، زكريا ياسوف،(2006)، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف،دار المكتبي،سوريا،ط 2

11- أحمد، مطلوب، (1973)، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده،وكالة المطبوعات الكويت،لبنان، ط1.

12-الألباني،محمد ناصر الدين، (2002)، مختصر صحيح البخاري: مكتبة المعارف، السعودية،ط1، ج.1

13-البخاري،صحيح البخاري،دار الهدى للطباعة والنشر،الجزائر،ج1، رقمالحديث:.629

14-بكري، شيخ أمين، (1994)، التعبير الفني في القرآن الكريم،دار العلم للملايين،لبنان،ط1،سنة:1994م.

15-الترمذي، (1996)، الجامع الكبير،تحقيق: بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي،لبنان،ط1، رقم الحديث:.2914

16-جلال الدين، السيوطي، (2008)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق:شعيبالأرنؤوط،مؤسسة الرسالة،سوريا ط1

17-الخطيب، القز ويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية،لبنان،ط1.

18-الخليل، بن أحمد الفراهيدي، (2003)، كتابالعين، تحقيق:عبد الحميد الهنداوي،دار الكتب العلمية، بنان، ط*1* ، ج.4

19-الراغب، الأصفهاني، (2009)، مفرداتالقرآن، تحقيق:صفوان عدنان داوودي،دارالقلم، لبنان، دار الشامية،ط3.

شرح النووي على متن صحيح، مسلم:حاشية إرشاد الساري، (1983)، دار الكتاب العربي، لبنان، ط7، ج.9

20-الشريف،الرضي، (2007)، المجازات النبوية،دار الكتب العلمية،لبنان، ط،1

21-صفي الرحمن،المباركفوري، (1999)، منة المنعم في شرح صحيح مسلم، دار السلام للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، ج.3

22-الطيبي، (1997)، شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية،ط1، ج.1

23-عبد العزيز، عتيق، (د.ت.)، في البلاغة العربية،دار النهضة العربية، لبنان،د.ط.

24-عبد العزيز، قلقيلة،البلاغة الاصطلاحية، (1992)، دار الفكر العربي،مصر،ط3

25-عبد القادر،حسين، (1985)، القرآن والصورة البيانية،عالمالكتب،لبنان،ط2.

26-عبد القاهر، الجرجاني، (1999)، دلائل الإعجاز،شرح وتعليق:محمدالتنجي،دار الكتاب العربي، لبنان،ط1.

المنارة للاستشارات

27–العلوي،الطراز، (2002)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي،دار الكتبة العصرية،لبنان،ط1،ج1.
28–عمرو، بن بحر الجاحظ أبو عثمان، (1969)، كتاب الحيوان،تحقيق عبد السلام هارون،منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي،ط3،ج3،
29–عمرو، بن بحر جاحظ، (1998)، البيانوالتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبةالخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط7، ج،1
30–العيني،عمدةالقارىء،تحقيق:عبد الله محمود محمد عمر،دار الكتب العلمية،لبنان،ط1، ج.3
31–كمال، عز الدين، (1984)، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية،دار اقرأ، لبنان، ط1.
32–محمد، علي الصابوني، (1981)، صفوة التفاسير،دار القرآن الكريم، لبنان،ط4، ج1
33–محمد، علي الصابوني، (1981)، مختصر تفسير ابن كثير:دار القرآن الكريم،لبنان،ط7،ج1،ص:.177
34–محمد، علي الصابوني، (1981)، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم،لبنان،ط7،ج1،ص:.197
35–محمد، ناصر الدين الألباني، الترغيب والترهيب، دار المعارف للنشر والتوزيع،الرياض،ط1،ج3،رقم الحديث: *2865*،.
36–محمود، البستان، (1421)، دراسات فنية في صور القرآن،مؤسسة الطبع التابعة للآستانة،ط1.
37–مسلم، (1955)، صحيح مسلم،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي،ط1، ج3،رقم الحديث:1755
38–النووي، (د.ت.)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج،بيت الأفكار الدولية،ط1.
39–وهبة،الزحيلي، (1984)، الفقه الإسلامي وأدلته،دار الفكر بدمشق،سوريا، ط3، ج7،رقم الحديث:2616،.
40–هيفاء، عربية، (1991)، الكناية في البلاغة العربية بين النظرية والتطبيق، بحث ماجستير جامعة حلب.
41–أحمد بدوي،منصور،وظائف الكناية والتعريض في الحديث النبوي الشريف،جامعة آل البيت،لبنان، ماجستير.
42–مسعود، مرزوقي،التصوير البياني في الخطاب النبوي الشريف،أطروحةالدكتوراه،قسم اللغة العربية،جامعة الجزائر2، الجزائر.

المنارة للاستشارات
ww